Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لذلك كان كلامهم وليد صناعة محددة، «يبين فيها التفاصح، وتقصد فيها البلاغة».

أما المحاورات، وغير ذلك من مجاري الخطاب، فلا تدخل في نطاق «الصناعة»، وما ظهر منها مما يشبه الأصول الثلاثة من صفات إيجابية يمتدح بها الكلام، فليس ذلك إلا وليد السليقة والطبع.

يظهر لنا من خلال تمييز الباقلاني بين الأصول الثلاثة المرتبطة ب«الصناعة»، وسواها التي تدخل في نطاق الطبع، أنه لا يخرج كثيرا عن تقسيم العسكري. فهو يؤكد في سياق آخر يميز فيه بين القرآن وباقي الكلام بقوله: «من تناهى في معرفة اللسان العربي،،، فليس يخفى عليه **إعجاز** القرآن، كما يميز بين **جنس الخطب والرسائل والشعر** وكما يميز بين **الشعر الجيد والرديء، والفصيح والبديع، والنادر، والبارع والغريب**...» (ص 171).

إنه على غرار العسكري يستعمل هنا «الجنس»، ويقسم الكلام العربي إلى ثلاثة أجناس. وفي وصفه لهذه الأجناس نراه يوظف نفس الصفات التي يشترك فيها كل البلاغيين والنقاد (الجودة/ الرداءة/ الفصاحة...). لكننا عندما نجده يتحدث عن القرآن الكريم، نجده يستعمل أقساما أخرى ضمنا أو مباشرة، ونفهمها أحيانا من خلال بعض الأفعال الدالة على ما يتصل بالجنس مثل: أخبر (الخبر)، ضرب المثل، ذكر قصة يوسف... وبصدد «القصة» نجده يقارن بين الشعر والقرآن، مبينا أن أية سورة من السور القرآنية تتضمن من القصص «مالو تكلفت العبارة عنها بأضعاف كلماتها، لم تستوف ما استوفته (...) وإن أردت أن تتحقق ما وصفت لك، فتأمل شعر من شئت من الشعراء المفلقين، هل تجد كلامه في المديح والغزل والفخر يجري مجرى كلامه في ذكر القصص؟ إنك لتراه إذا جاء إلى وصف وقعة، أو نقل خبر، عامي الكلام، سوقي الخطاب، مسترسلا في أمره، متساهلا في كلامه، عادلا عن المألوف من طبعه...» (ص 114-115).

إن الخلفية الإعجازية التي ينطلق منها الباقلاني تحدد بجلاء موقفه من النص القرآني ومختلف أجناس الكلام العربي وأنواعه. وهذه الخلفية تبرز بمختلف الأشكال ضمنا أو مباشرة في أعمال العديد من البلاغيين والأدباء.

تتعدد أجناس القرآن وأنواعه (الخبر ـ المثل ـ القصة ـ الموعظة...). لكن